الطبقة الحاكمة تريد تحويل لبنان...

إلى مختبر لضرب العمل الفدائي

ان الاحداث المتلاحقة التي يشهدها جنوب لبنان والتطورات التي يمر بها، تدفع اوضاع هذه المنطقة لكي تكون قضية قومية ينبغي ان تستأثر باهتمام ابناء الامة العربية في كل مكان لا في الجزء اللبناني من اجزاء الوطن العربي فحسب.

فالجنوب اليوم بات يشكل خط الدفاع الاول بالنسبة للعمل الفدائي وبالتالي لسائر القوى التي اعلنت تمردها على المخططات الدولية الرامية الى تصفية القضية الفلسطينية، والى اجبار العرب على الاستسلام النهائي للمطامع الاسرائيلية.

ان هذا الوضع يعود بالدرجة الاولى الى ان الاستعمار قد اعد لبنان لكي يكون مختبرا للوسائل والاساليب التي وضعها لمحاربة انتفاضات الشعوب التحررية. فاذا نجحت هذه الوسائل في القضاء على العمل الفدائي امكنة عندئذ الافادة من « التجربة اللبنانية » لضرب العمل الفدائي في اماكن اخرى من الارض العربية.

كما ان حساسية الوضع في جنوب لبنان ترتبط ايضا بان العمل الفدائي يخوض معركته مجردا تماما من اية مظلة عسكرية عربية واقية كما هو الحال في الاردن. ففي الوقت الذي يحتشد فيه حوالي مائة الف جندي عربي في الضفة الشرقية للمساهمة في رد الضربات الاسرائيلية الانتقامية عن الاردن، فان جنوب لبنان خال تقريبا من قوات الردع العسكري العربي.

وفي الوقت الذي استطاع فيه العمل الفدائي ان يكرس شرعية بقائه وتحركه في الضفة الشرقية، فان الطبقة الحاكمة في لبنان لا تزال تعمل بنشاط من اجل ضرب العمل الفدائي واخراجه من الاراضي اللبنانية. وهذه السياسة التي تتبعها الطبقة الحاكمة تتجلى في مظاهر عديدة يمكن تلخيصها بما يلي:

● محاولة « تدجين » العمل الفدائي واحتوائه بحيث يفقد حرارته الثورية فيكون عندئذ ضربه اكثر سهولة من ذي قبل.

● محاولة عزله عن سكان الجنوب وتأليب هؤلاء عليه. فاذا قامت اسرائيل باعمال انتقامية ضد المدنيين امتنعت الدولة عن الرد، وسارع عملاؤها وازلامها الذين بثتهم في كل قرية الى تحميل الفدائيين مسؤولية الاضرار والخسائر وعلى تصوير هذه الاضرار على انها عبء يجب التخلص منه بدلا من ان تكون تضحية يقبل بها ابناء الجنوب بفخر واعتزاز.

● ملاحقة التقدميين والوطنيين الذين يعملون مع الفدائيين. فاسماؤهم على كل حاجز. ورجال الدولة ينشطون في الجنوب في ملاحقتهم والتنكيل بهم.

● خلق جو من الشكوك وعدم الثقة بفعالية العمل الفدائي وقدرته على تحقيق اهدافه.

● ادخال العمل الفدائي في دوامة الصراعات المحلية التقليدية في الجنوب سواء كانت عائلية ام عشائرية ام مصلحية.

● توجيه الانذارات المتوالية الى العمل الفدائي بحيث تنهك قواه في الاستعداد للمعارك الجانبية. ولقد كان الانذار الذي وجه الى الفدائيين في الاسبوع الفائت بالتراجع عن بعض المواقع واحدا من العوامل التي دفعت سائر المنظمات الى اصدار بيان التحذير الذي وجهته الى السلطة.

ان جسامة التحديات التي يواجهها العمل الفدائي والوطني في جنوب لبنان تفرض ضرورة استنفار كافة القوى العربية التي شاركت في معارك حماية العمل الفدائي، وكانت مشاركتها عاملا اساسيا في قلب ميزان القوى لصالح الفدائيين والوطنيين في لبنان.

ان الطبقة الحاكمة تعرف اهمية الدور الذي يمكن ان تقوم به هذه القوى العربية، وهي تريد ان تكيفه بما ينسجم مع مصالحها ومع المخططات التي ترسمها للعمل الفدائي. ولذلك فقد اتخذت قرارا بارسال مندوبيها - فرسان معارك نيسان وتشرين لكي يقوموا بجولة في البلاد العربية ذات هدف مزدوج: « شرح الاوضاع والظروف... وتبيان الموقف »، والحصول على مساعدات مادية.

ان « تبيان الموقف » بالنسبة للطبقة الحاكمة في لبنان يستهدف بالدرجة الاولى التماس موافقة الدول العربية على تنفيذ مخططها ضد العمل الفدائي والقوى المتلاحمة معه.

اما المال الذي تطلبه الطبقة الحاكمة للجنوب فان اللبنانيين يعرفون تماما كيف واين ولماذا سيصرف، ويعرفون سلفا ماذا سيقال للبنانيين في حالة عدم الحصول عليه!

انه سيستخدم بالدرجة الاولى لتحريك السوق الداخلية، ولتخفيف حدة الازمة الاقتصادية التي يمر بها نظام « الاقتصاد الحر » بسبب طبيعته الاحتكارية.

ان قسما كبيرا من المئة مليون سيستهلك في النفقات الادارية الباهظة التي تمتصها البيروقراطية اللبنانية المرفهة. وقسم آخر من هذه الاموال سيكون عرضة للسرقة كما حدث عام ١٩٥٦ عندما سرقت اموال الزلزال وعمرت فيها القصور واضيفت لحساب الحكام.

وقسم لا يستهان به من هذه الاموال سيستخدم لتجييش انصار الدولة وتجنيدهم كي يضربوا الفدائيين من الظهر. اما القسم الضئيل من هذه الاموال فانه سيصرف على بعض المشاريع الشكلية التي قد تفيد الدولة في اعادة ثقة ابناء الجنوب بها، ولكن لا تحول الجنوب الى قلعة للصمود والمجابهة كما يريده اللبنانيون والفدائيون.

ان هذه الصورة المتشائمة، ولكن الواقعية، لما تعده الطبقة الحاكمة لجنوب لبنان، جديرة بان تضع الدعم العربي لجنوب لبنان في موضعه الصحيح، فلا توكل به من هم ليسوا أهلا للثقة.

ان هذا الدعم يجب ان يمر عبر منظمات المقاومة والحركات الوطنية في لبنان، بحيث يسهم في تعزيز قدرتها على مواجهة التحديات، وعلى تذليل العقبات التي تزرعها الطبقة الحاكمة في طريقها.

ان العمل الفدائي والوطني في لبنان هو الذي يجب ان يتولى مسؤولية تدريب اهالي الجنوب وتسليحهم. وهو ايضا الذي يجب ان ياخذ على عاتقه تحويل الظروف المعيشية والسكنية لابناء الجنوب الى ظروف تسمح لهم بان يعيشوا حياتهم اليومية دون ان يتأثروا كثيرا بالاعتداءات الاسرائيلية. وعلى منظمات المقاومة والحركات الوطنية في لبنان ان تتعود على دورها الجديد كسلطة شعبية تحل محل الدولة في المناطق التي تغيب عنها.

ان هذا الدور الجديد يستلزم مشاركة ودعما من كافة القوى والانظمة التقدمية في الوطن العربي، فالمعركة التي يخوضها شعب لبنان يخوضها نيابة عن الامة العربية كلها، وليس من الجائز ان يخوضها بقدراته الذاتية فقط، او بقدرات محدودة لا ترقى الى مستوى المجابهة مع المثلث الامبريالي - الصهيوني - الرجعي.